لا تقتصر على الفرد فقط بل تتعداه إلى الأسرة والمجتمع ومن ثم الدولة

المسؤولية الاقتصادية .. من منظور إسلامي

إن الفرد المسلم مسؤول عن المجتمع الذي يعيش فيه، فهو جزء منه، والجزء لا ينفصل عن الكل، والغاية العليا هي سعادة الكل، وربط القلوب بأواصر المحبة والأخوة[1].

والمسؤولية في الإسلام لا تقتصر على الفرد فقط، بل تتعداها إلى الأسرة والمجتمع والدولة. والمسؤولية سلوك وشعور يغرسه المربّي الفاضل في أعماق أبنائه من خلال حسه هو أولاً بالمسؤولية تجاه أبنائه وتجاه أسرته، وتجاه مجتمعه.

وبتربية المسؤولية عند الطفل، يستطيع أن يسير على قدميه، لا على أقدام الآخرين. والمربّي الناجح لا يسلب طفله مسؤولياته بل يكلفه بها، ويعينه على إنجازها، صانعاً له بذلك نجاحاً صغيراً يقوده إلى نجاح كبير. وليحذر الأب أن يكلف ولده بما ينوء به ظهره الصغير، أو بما لا يفهمه عقله الغرير. ومن أهم جوانب المسؤولية الواجب تربيتها عند الطفل، مسؤوليته تجاه وأمته، وتجاه الإنسانية كلها. فعلى الأب أن يغرس في ولده هذا الشعار: (أنا لأمتي، وأمتي لي)

وهذا الشعار: (سعادتي في إسعاد الناس) »[2].

والتربية الاقتصادية تستنبط روح المسؤولية من وحي القرآن دستور البشرية جمعاء، ومن تطبيق السنة الشريفة لهذه القوانين الربّانية. فالمسؤولية واجب الجميع، »حيث يتمّ غرسها في نفوس الناشئة والمتعلمين، حيث يتربّى في دواخلهم حسّ المسؤولية، وإنهم يتحمّلون نتائج أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم أمام أنفسهم ومجتمعهم وأمام ربّهم يوم العرض الأكبر، فكل إنسان حافظ مؤتمن، وتقع عليه مسؤولية صلاح ما التزم به في دينه ودنياه ومتعلقات ذلك»[3]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا كُلكمْ رَاعٍ، وكُلكمْ مسؤولٌ عَنْ رَعيته. فالأميرُ الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عَنْ رَعيته، والرّجل رَاعٍ على أهلِ بيته، وهو مسؤول عنهمْ، والمرأة رَاعيةٌ على بيت بَعْلها وولده، وهي مسؤولةٌ عنهم. والعبدُ رَاعٍ على مالِ سيده، وهو مسؤولٌ عنه. ألا فكُلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رَعيته »[4].

« قال العلماء: الراعي هو: الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وهو ما تحت نظره »[5]. والأبناء لا يكونون تحت انظار آباءهم فقط، وهم محيط دائرتهم الصغرى، بل تتسع حلقة الدائرة ليكونوا الأبناء تحت انظار معلميهم ومجتمعاتهم. فالإصلاح والتربية واجب الجميع، وإن اختلف الدور في التطبيق من مربيّ إلى قدوة إلى مرشد إلى واعظ، وفقاً لتعدد مشارب استقاء التربية، وإن كان العاتق الأكبر يقع على كاهل الأبوين، بصفتهما الأرضية الأولى لغرس البذار، والحاضنة الأولى لتربية الأبناء، ولا يقتصر الأمر على أساليب التربية فقط أو السلوك المعتاد للآباء تجاه أبنائهم، فهناك أيضاً ثمة ما يُعرف بالطباع المكتسبة عن طريق الوراثة، كالجود والكرم ويشير الباحثون إلى وجود مؤسسات اجتماعية عديدة، تقوم بأداء تلك المهمة الكبرى، تتمثل في الأسرة والأقران والمؤسسة التعليمية، والدينية، والسياسية والإعلامية، فضلاً عن مؤسسات المجتمع المدني الأخرى، وتجدر الإشارة إلى أن ثمة تفاوت في الأهمية النسبية لدور كل منها، ومدى نجاحه في إتمام المهام المنوطة به عبر الأفراد في مراحلهم الارتقائية المتنوعة فالأسرة، على سبيل المثال، أكثرها تأثيراً في المراحل الارتقائية المبكرة، بيد أن تأثير المؤسسة التعليمية يزداد أبان مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة، في حين يصبح الأقران أكثر تأثيراً أثناء مرحلة المراهقة، أما المؤسسات الأخرى، الدينية والإعلامية والسياسية، فإن تأثيرها يتراوح صعوداً وهبوطاً كنتيجة لعوامل متعددة عبر هذه المراحل»[6]. وتكمن أهمية التربية الاقتصادية هنا من خلال تربية الأبناء تحت إشراف آبائهم، ومربّيهم، ومُعلميهم، على أن أجسادهم وعقولهم وأموالهم أمانة لديهم وهم مسئولون أمام الله عنها، وعليهم الحفاظ على أجسادهم قوية سليمة، فيتناولون طيبات ما رزقهم الله من دون إسراف أو تقتير.

قال تعالى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] [البقرة: 172].

ويبتعدون عن كل ما حرم الله عليهم من أنواع الطعام التي تضر بأجسادهم.

قال تعالى: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [المائدة: 3].

والتربية الاقتصادية ترسم الجوانب الشخصية للمسلم، فترى فيه سيد هذا الكون، وليس عبداً إلا لله تعالى الذي خلقه ورزقه ونعمه، بنعم لا تعد ولا تحصى، وأمره أن يعتدل في كل تصرفاته حتى في عبادة الله سبحان الله؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »خَيْرُ الأُمُورِ الْوَسَطُ »[7]. فإعداد الطفل للحياة الاجتماعيةمن خلال تأديب نفسه وتصفية روحه عن طريق التعليم المستمر، التوجيه الدائم وفق منهج إسلامي أصيل، يغرس في نفس الناشئ صلات المودة ووشائج التآخي.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

جامع التنعيم بمكة المكرمة

مسجد التنعيم هو أحد مساجد مكة، يعتبر مسجد التنعيم أحد مواقيت الإحرام لأهل مكة المكرمة، لما روي عن عائشة قالت :نزل النبي المحصب (اسم مكان)، فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: »اخرج بأختك من الحرم إلى التنعيم فلتهل بالعمرة، ثم لتطف بالبيت، فإني أنتظركما هاهنا ». قالت : فخرجنا فأهللت، ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة، فجئنا رسول الله وهو في منزله في جوف الليل، فقال: »هل فرغت ؟» فقلت : نعم، فآذن في أصحابه بالرحيل، فخرج فمر بالبيت فطاف به قبل صلاة الفجر، ثم خرج إلى المدينة». يقع المسجد في الجهة الشمالية الغربية من مكة، وتقدر المسافة بينه وبين باب العمرة بـ6148 متراً.

«وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

.. الخبير

اسم الله الخبير ورد في الكتاب والسنة وفي نصوص كثيرة، ففي القرآن الكريم ورد معرفاً، الخبير في ثلاثة أو مقترناً بثلاثة أسماء، اسم الحكيم في قوله تعالى:

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)

ومقترناً مع اسم اللطيف:

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) ومقترناً مع اسم العليم في قوله تعالى:

نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3)

إذاً الحكيم الخبير، اللطيف الخبير، العليم الخبير، وقد ورد أيضاً هذا الاسم منوناً يعني غير معرف في نصوص كثيرة منها قوله تعالى:

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) الخبير معرف، خبيراً منون، أما في السنة ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير.

تعريف الخبير:

أيها الأخوة، الخبير في اللغة على وزن فعيل، هذا الوزن يدل على المبالغة، إذا الخبير من صيغ المبالغة فعله خَبَرَ يَخْبُرُ خَبْراً، وخَبُرَت بالأمر أي علمته، هناك من أعلمني به، وخبرته أي عرفته على حقيقته بالعمق، بالخلفيات، بالبواعث، وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أنه سأل السيدة عائشة رضي الله عنها قال: فما يُوجب الغسل ؟ قالت: على الخبير سقطت. أي إنك سألت خبيراً بهذا الموضوع.

فالخبير هو الذي يخبر الشيء بعلمه لكن الخبرة أبلغ من العلم لأنها علم وزيادة، فالخبير بالشيء من علمه وقام بمعالجته وبين خصائصه وجربه وامتحنه فأحاط بتفاصيله الدقيقة وألمّ بخصائصه اللصيقة ووصفه على حقيقته، فالعلم نظري والخبرة عملية. خبرة الله قديمة قدم وجوده أما صنعة الإنسان تتطور بحسب خبرته المتنامية:

تصنع محركاً وفق قواعد علمية دقيقة جداً على الاستعمال ترتفع حرارته عند الطريق الصاعدة ؛ وهذا الارتفاع قد يسبب له الاحتراق، إذا كان في نقص بالخبرة، لذلك وازن بين مركبة صنعت عام 1912 ومركبة 2008، المركبة الأولى تشغيلها من الخارج والمركبة الأولى علبة سرعة ما فيها، والعجلات ليس فيها هواء صلبة، والإضاءة بالفانوس، وتراقب مركبة من أرقى المركبات الآن التي صنعت عام 2008، خبرة الإنسان تتنامى، خبرة الإنسان حادثة، أما خبرة الله قديمة، هل طرأ على خلق الإنسان تعديل ؟ في إنسان موديل ثمانين مثلاً ؟ هل طرأ على خلق الإنسان تعديل ؟ كمال مطلق، الفرق الدقيق بين خلق الإنسان وبين صنع الإنسان، صنعة الإنسان تتطور بحسب خبرته المتنامية وبحسب الخطأ والصواب أما خبرة الله عز وجل قديمة قدم وجوده، الله عز وجل خبير.

آلات كثيرة تصمم وفق أحدث قواعد العلم على التطبيق، على التجريب، على الاستعمال تكشف أخطاء كثيرة تعدل وتعدل وتعدل والإنسان ما دام حياً يرزق صنعته تحتاج إلى تعديل بينما صنعة الواحد الديان كاملة كمالاً مطلقاً.

صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إتقان الله عز وجل لكل شيء؛

ليس في حليب الأم حديد أودع الله في طحال الجنين كمية حديد تكفيه لعامين إلى أن يأكل، حينما يولد الطفل ما في قوة في الأرض تعلمه كيف يلتقم ثدي أمه ويمص الحليب، والعملية معقدة جداً، يخلق مع الإنسان ما يسميه علماء النفس منعكس المص، يعني الآن ولد إن اقتربت أصبع الممرضة المولدة مصها، يعني أحاطها بشفتيه وأحكم الإغلاق وسحب الهواء.

صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

قد تذهب إلى قلندا يوجد بعينك ماء هناك الحرارة سبعين تحت الصفر تتلاقى البرد الشديد بقبعة وقفازات ومعطف وأحذية مبطنة بالصوف وجوارب صوفية لكن هل تستطيع أن تغطي عينيك هناك ؟ وماء العين يلامس سبعين تحت الصفر، إذاً كل إنسان هناك ينبغي أن يموت أو ينبغي أن يفقد بصره، الواقع أن الله أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد لئلا يتجمد ماء العين في منطقة باردة، الخبير، الإنسان يستخدم العلم لكن الخبرة لا يملكها.

الموضوع طويل ودقيق جداً، الآن مثلاً المركبات الحديثة يضعون جداراً إسمنتياً وتنطلق المركبة من دون سائق باتجاه هذا الجدار بسرعة مئة يلاحظون صمود هيكل السيارة أمام هذه الصدمة حتى يصنعوها بصناعة متقنة، ما عرفوا نظرياً هذا المعدن كم يصمد أمام صدمة بسرعة مئة، بالتجريب، أحياناً يكشفون تركيب التربة ومعهم بذور لا يعلمون هل تصلح هذه التربة لهذه البذور ؟ على التجريب، فالإنسان خبرته تتنامى، يأخذها من التجارب أما خبرة الواحد الديان قديمة قدم وجوده.

ما من جهة ينبغي على الإنسان أن يتبع تعليماتها إلا الصانع وهو الله عز وجل:

أيها الأخوة، الخبير سبحانه وتعالى هو العالم بما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وليس هذا إلا لله وحده، علم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، والذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بعلمه بل لا تستقيم آياتنا إلا بتطبيق أمره واتباع سنة نبيه لماذا ؟ لأنك أيها الإنسان أعقد آلة في الكون تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز.

تصور تمشي في الطريق وسمعت بوق مركبة، ما الذي يحدث حتى انحرفت نحو اليسار ؟ الذي يحدث أن في الدماغ جهاز بالغ التعقيد بحسب تفاضل وصول بوق المركبة إلى الأذنين إلى أيهما دخل أولاً ؟ والتفاضل بينهما واحد على ألف وستمئة وعشرين جزءاً من الثانية، الجهاز في الدماغ يكتشف أن البوق جاء من اليمين، الدماغ يعطي أمراً إلى الإنسان أن ينحاز نحو اليسار.

دقة ما بعدها دقة، قال تعالى:

وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

يعني الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها، وهذا من واقع الحياة، عندك جهاز بالغ التعقيد كومبيوتر صناعي ولك جار يبيع الخضراوات صالح جداً تحبه جداً هل تدعوه إلى أن يصلح لك هذا الكومبيوتر ؟ مستحيل، تبحث عن الشركة الصانعة عن خبيرها. وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ أي ما من جهة ينبغي أن تتبع تعليماتها إلا الصانع وهو الله عز وجل، الأمر الإلهي علاقته بنتائجه علاقة علمية:

لذلك الأمر الإلهي علاقته بنتائجه علاقة علمية، الأمر الإلهي والنهي الإلهي علاقة الأمر بالنتيجة وعلاقة الأمر بالنتيجة علاقة علمية، علاقة سبب بنتيجة، أنا أضرب مثلاً دائماً أذكره كثيراً، أنت راكب مركبة وحامل عشرة طن شاحنة وصلت إلى جسر كتب عليه الحمولة القوى خمسة طن، من الحمق والغباء أن تتلقت يمنة ويسرى في شرطي ؟ ليس الموضوع موضوع شرطي، الموضوع هنا ليس موضوع شرطي ومخالفة، الموضوع الجسر نفسه يعاقبك، تسقط في النهر، العلاقة بين السير فوق هذا الجسر بعشرة طن وسقوط الجسر علاقة علمية.

لوحة كتب عليها ممنوع الاقتراب خط توتر عالي، يا ترى لو اقتربت في مؤاخذة، في مخالفة، يا ترى أسجن ؟ الموضوع ليس موضوع سجن ولا مخالفة ولا مؤاخذة موضوع التيار يعملك فحمة خلال دقائق، أنت حينما تفهم أمر الله الذي هو من عند الخبير على أن العلاقة بين الأمر وبين النتائج علاقة علمية ؛ علاقة سبب بنتيجة، وأن العلاقة بين النهي وبين النتائج علاقة علمية ؛ علاقة سبب بنتيجة، تكون قد عرفت الخبير.

وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ الفقيه من عرف أن سلامته و سعادته بطاعة الخالق و شقاءه وهلاكه بمعصيته: مثلاً ما معنى فرائض ؟ بالضبط للتوضيح أنا أقول لكم استنشاق الهواء فرض لبقائك حياً، يعني إذا لم تستنشق الهواء تموت، وشرب الماء فرض لبقائك حياً، الهواء دقائق، الماء ثلاثة أيام، وتناول الطعام فرض لبقائك حياً لأيام، تتوقف حياتك على استنشاق الهواء وشرب الماء وتناول الطعام، فإذا قلت الصلاة فرض، يعني فرض على سلامتك وسعادتك، إنك إن اتصلت بالله ألقى الله في قلبك نوراً رأيت به الحق حقاً والباطل باطلاً والدليل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ (28) هذه الصلاة ذكر الله أكبر، إذا ذكرك قذف في قلبك النور، رأيت الحق حقاً والباطل باطلاً، سلمت وسعدت، فالصلاة فرض والصيام فرض والحج فرض والزكاة فرض والزنا محرم يحجبك عن الله تصبح في ظلام في عمى تتخبط خبط عشواء، والسرقة حرام، والكذب حرام، الحرام يحرمك السلامة والسعادة، والفرض شرط لسلامتك وسعادتك، أنا حينما أفهم الفرائض أنها شروط لازمة لسلامتي وسعادتي وحينما أفهم المحرمات أنها أسباب كافية لشقائي وهلاكي أكون فقيهاً في الدين، أعرابي بسيط ثقافته محدودة جداً التقى النبي عليه الصلاة والسلام قال له يا رسول الله عظني ولا تطل، تلا عليه النبي عليه الصلاة والسلام فقرة من سورة:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ قال: كفيت، فعلق النبي عليه الصلاة والسلام على قوله وقال: فَقُهَ الرجل، ما قال فقه، فقه عرف الحكم، أما فقه أصبح فقيهاً.

من استقام على أمر الله سعد في الدنيا و الآخرة:

أنت أيها الأخ الكريم وأنا معك حينما نفهم أن كل سلامتنا وسعادتنا بطاعة الله وأن كل شقائنا وهلاكنا بمعصيته نكون فقهاء، لهذا كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصيه. في مثل لكن حاد جداً، إنسان ثقافته محدودة جداً راعي التقى به سيدنا ابن عمر قال له: يعني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال: ليست لي، قال: قل لصاحبها ماتت، أو أكلها الذئب ؟ قال: والله إنني لأشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها: ماتت، أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله ؟ هذا الراعي الذي لا يقرأ ولا يكتب لكنه خاف من الله وضع يده على جوهر الدين، وإنسان يحمل دكتوراه وله مئتي مؤلف إذا أكل المال الحرام أو اعتدى على أعراض الناس أو أخذ ما ليس له يعد بنص هذه المقولة الرائعة جاهلاً.